161083 ـ هل يصيب إفساد يأجوج ومأجوج العالم كله ؟

السؤال

أعرف قصة قوم يأجوج ومأجوج ، وأنهم سوف يفسدون في الأرض ، ويأكلون الأخضر واليابس ، ولكن هل يأجوج ومأجوج سيفسدون أرض العرب فقط أم العالم بأجمعه ؟ وشكرا ، بارك الله فيك .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الأدلة الواردة في شأن يأجوج ومأجوج اشتملت على بعض بعض الإشارات التي تدعو إلى التأمل لمعرفة مَن سيخرج فيهم هؤلاء القوم المفسدون ، إذ لا سبيل لمعرفة ذلك سوى بالوحي المعصوم.
ولذلك يمكننا القول إن الأدلة التي أخبرت عن هذا الموضوع على قسمين :

الأول : أدلة ظاهرها خروج يأجوج ومأجوج على جميع الناس ، وبلوغ أذاهم إلى جميع أهل الأرض ، وهذه الأدلة هي :
1- قوله تعالى : (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) الكهف/94. فكلمة (الأرض) كلمة مطلقة ظاهرها إمكان بلوغ أذاهم إلى جميع بقاء الأرض .
2- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّدِّ قَالَ :
(يَحْفِرُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَخْرِقُونَهُ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا ، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مُدَّتَهُمْ ـ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ ـ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ وَاسْتَثْنَى ـ قَالَ : فَيَرْجِعُونَ فَيَجِدُونَهُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ ، فَيَخْرِقُونَهُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ وَيَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدِّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ . قَسْوَةً وَعُلُوًّا ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ ، فَيَهْلِكُونَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ تَسْمَنُ وَتَبْطَرُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ)
رواه الترمذي (3153) وقال : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا . وصححه الألباني في " صحيح الترمذي ".
فتأمل قوله عليه الصلاة والسلام : (وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام أيضا : (فَيَخْرِقُونَهُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ)، فكلمة (الناس) كلمة عامة تشمل في ظاهرها عمومَ الناس ، وليس فئة خاصة منهم .
وكذلك قولهم : (قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ) ظاهره أنهم يقصدون جميع أهل الأرض ؛ لأن (مَن) مِن ألفاظ العموم .

الثاني : أحاديث ظاهرها خروج يأجوج ومأجوج على المسلمين في البلاد المباركة ، بلاد الأنبياء التي تكون فيها الملحمة الكبرى ، ويخرج فيها الدجال ، ويحشر الناس إليها يوم القيامة : بلاد الشام والجزيرة وما حولها ، وهذه الأحاديث هي :

1- عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ :

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ـ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا ـ قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟! قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)

رواه البخاري (3346) ومسلم (2880)

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" إنما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام ، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم ". انتهى من" فتح الباري " (13/11)

ويقول أيضا :

" خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ". انتهى من" فتح الباري " (13/107)

وكلام الحافظ ابن حجر رحمه الله يدل على أن فتنة يأجوج ومأجوج تصيب المسلمين في الغالب ، وإنما ذكر العرب لأنهم معظم المسلمين ، ولا ذكر لغير المسلمين في هذه الفتنة .

2- حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ـ وهو حديث طويل يصف فتنة الدجال ونزول المسيح ابن مريم عليه السلام وقتله له – وكان مما جاء فيه :

(فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ – يعني الدجال ـ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ...فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ .... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)

رواه مسلم (2937)

ظاهر هذا الحديث يدل على أن خروج يأجوج ومأجوج على المسلمين في بلاد البعثة النبوية وبلاد الشام وما حولها :

فذِكْرُ بحيرة طبرية – وهي في بلاد الشام – .

وانحصار عيسى عليه السلام والمؤمنين معه في مكان ضيق .

وإلقاء جثث يأجوج ومأجوج حيث شاء الله – يعني من الأرض ـ .

كلها قرائن تشعر أن هذه الفتنة لا تعم الأرض كلها ، وإن كانت باقي بقاع الأرض تتأثر بما يحدث في هذه البلاد المباركة ، ولكنه ليس التأثر الرئيس .

ثم قوله عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث : (وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ) يدل على أن شرار الناس هؤلاء لم يقتلهم يأجوج ومأجوج ، وبالتأكيد لم يكونوا مع المؤمنين أتباع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فلم يبق إلا أنهم شرار الناس في باقي الأرض التي لم يمر عليها يأجوج ومأجوج .

وأما الأحاديث الأولى التي ظاهرها إصابة الفتنة عموم الناس فتحمل على أنها من قبيل العام الذي يراد به الخاص ، بدلالة السياق أو الأحاديث الأخرى ، كحديث زينب بنت جحش ، وحديث النواس بن سمعان .

وعلى كل حال : لا يمكننا الجزم بأحد الاحتمالين لعدم قيام الأدلة الظاهرة على الترجيح بينهما، والعلم عند الله تعالى ، والمهم هو أخذ العبرة والعظة من هذه الفتنة العظيمة .

وانظر جواب السؤال رقم : (3437)

والله أعلم .